وفي باب الأذان أيضًا نرى شيئًا من هذا القبيل، يقول «الأذان نداء يقصد به إعلام المنادى بما يراد منه ومنه الأذان للصلاة، فإذا أصغى إليه المنادى بالاستماع والاستجابة قيل: قد أذن.

ومنه قوله تعالى ﴿أذنت لربها وحقت﴾ [1]، يريد استمعت، وكذلك قول النبي: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به»، أي ما استمع. وذكر أهل التفسير أن الأذان في القرآن على وجهين:

أحدهما: النداء، ومنه قوله تعالى في الأعراف ﴿فأذّن مؤذّنٌ بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾[2] وفي يوسف: ﴿ثم أذّن مؤذّنٌ أيتها العير إنكم لسارقون﴾[3] وفي الحج: ﴿وأذّن في الناس بالحج﴾[4].

والثاني: الإعلام، ومنه قوله تعالى في براءة ﴿وأذانٌ من الله ورسوله﴾[5]، وفي فصلت: ﴿قالوا آذنّاك ما منّا من شهيد﴾[6] ثم يقول: «ويجوز أن يعدّ هذان الوجهان وجهًا واحدًا فلا يصح التقسيم إذن»[7].

وعلى هذا النحو نرى نقد ابن الجوزي كثيراً من الوجوه بعد ذكرها، كما نراه أحيانًا يذكر وجوهًا لا يجوز اعتبارها وجوها، ولا يعلق عليها بشيء.

ويختم ابن الجوزي كتابه بقوله:

«فهذا آخر ما انتخبت من كتب الوجوه والنظائر التي رتبها المتقدمون. ورفضت منها ما لا يصلح ذكره. وزدت فيها من التفاسير المنقولة ما لا بأس به، وقد تساهلت في ذكر كلمات نقلتها عن المفسرين، لو ناقش قائلها محقق لجمع بين كثير من الوجوه في وجه واحد. ولو فعلنا ذلك لتعطّل أكثر الوجوه، ولكنا تساهلنا في ذكر ما لا بأس بذكره من أقوال المتقدمين. فليعذرنا المدقق في البحث»[8] والعبارة تضيف إلى ملاحظاتنا أنه لم يقصد بلوغ درجة (التحقيق) بل انتخب انتخاب المتساهل واقتصر في الحذف على «ما لا يصلح ذكره»، تاركًا «ما لا بأس به» خشية «تعطُّل أكثر الوجوه»، وربما ينطوي هذا على نوع من العاطفة التي تهاب هدم علوم الأقدمين وأعمالهم، فتتجاوز معتبرة أن بعضها «لا بأس به»، وربما كانت للمؤلف رؤية خاصة لم نهتد إليها.

---

(١) الانشقاق: ٢.
(٢) الأعراف: ٤٤.
(٣) يوسف: ٧٠.
(٤) الحج: ٢٧.
(٥) التوبة: ٣.
(٦) فصلت: ٤٧.
(٧) المرجع نفسه ص٨٨.
(٨) المرجع نفسه ص٦٤٣.